

## المحاضرة الثالثة / /// حياة البرزخ

البرزخ: هو ما بين وضع الإنسان في قبره إلى قيام الساعة هذا البرزخ، ما بين وضع الإنسان في قبره إلى أن تقوم الساعة هذا هو البرزخ، فالذين وضعوا في قبورهم في عهد آدم وبعده، هم في البرزخ إلى الآن، إلى يوم القيامة، وهكذا من بعدهم، وهكذا من بعدهم، وهكذا في يومنا من مات الآن صار إلى البرزخ، ويستمر في ذلك إلى أن تقوم الساعة.

حياة البرزخ.. حياة بين حياتين

والبرزخ هو الحاجز بين الشيين بحيث يمنع من اختلاطهما، يقول سبحانه: (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) [الفرقان: ٥٣]، جعل بينهما حاجزا. فهناك حاجز بينهم وبين الآخرة، إنها حياة أهل القبور، حياة ما بعد الموت، حياة البرزخ بين الدنيا والآخرة، تستقر فيها أرواح الموتى، وهي عالم روحاني لا يقاس ما فيه على عالم الدنيا المادي، فلا تحكمه قوانين المكان والزمان والمادة؛ بل هو عالم آخر له أحواله وأسراره.

وجاءت النصوص بإثبات الحياة في البرزخ، وهي حياة تخالف الحياة المعهودة في الدنيا، فالله سبحانه جعل الدور ثلاثا: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاما تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعا لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعا لها، فإذا كان يوم حشر الأجساد، وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهرا أبديا أصلا.

أولاً: الآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر

قال تعالى: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون

على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) [الأنعام: ٩٣] ففي قوله: (اليوم تجزون عذاب الهون) فالآية تبين المحتضر الكافر، وأنه تأتيه الملائكة، وتخبره أنه سوف يعذب اليوم، يعني يوم موته، وهذا يدل على أن العذاب يكون قبل يوم القيامة، ففي الآية دليل واضح على عذاب القبر، ولو تأخر عنهم العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم:

قال تعالى: (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم \*) [التوبة: ١٠١] قوله تعالى: (سنعذبهم مرتين): المرة الأولى في الدنيا من المصائب في النفس أو المال أو الولد أو غيره، وأما المرة الثانية ففي القبر، وأما عذاب الآخرة فذكره بقوله: (ثم يردون إلى عذاب عظيم).

قال تعالى: (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب \* النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) [غافر: ٤٥ - ٤٦] وهذا النص من النصوص الصريحة في عذاب القبر، فإن هذا العذاب الذي حصل لقوم فرعون إنما كان بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة فهو المذكور بعده بقوله: (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب).

قال تعالى: (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) [السجدة: ٢١] وقد احتج جماعة منهم عبد الله بن عباس بهذه الآية على عذاب القبر، فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين: أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال: يعني به عذاب القبر.

قال تعالى: (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون \* يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون \* وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون) [الطور: ٤٥ - ٤٧] عن قتادة أن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله.

قال تعالى: (أهلآم التآآثر \* آآى زرم المقابر) [التآآثر: ١ - ٢] فيها الآآآ عن عذاب القبر.

قال تعالى: (مما آطآئآهم أأرقوا فأأآلوا نارا فلم آآآوا لهم من آون الله أنصارا) [نوح: ٢٥] قوله: (فأأآلوا نارا) بعآ، وهذا آآل على عذاب القبر.

آانيا: مستقر الأرواح فى البرزآ

آآآوت أرواح العباد فى البرزآ فى منازلها، ومن آلال آراسة النصوص الوارآة فى ذلك آمكن الآقسآم الآلى:

أرواح الأنبآاء:

وهذه آكون فى آآر المنازل فى أعلى علآن، فى الرفآق الأعلى، وآآ سمآآ السآآة عائشة الرسول (صلآ الله وآله وآسلم) فى آخر لآظات آآآه آقول: «اللهم الرفآق الأعلى».

أرواح الشهآاء:

قال تعالى: (ولا آآسبن الآآن قآلوا فى سبآل الله أمواتا بل آآآاء عآ ربهم آرزقون) [آل عمران: ١٦٩] وأرواحهم فى أجواف طآر آآر لها قنآآآل معلقة بالعرش، آسرح من الآنة آآآ شاءآ، آم آأوى إلى آلك القنآآآل.

أرواح المؤمنآن الصالآآن: آكون طآورا آعلق فى شآر الآنة، قال رسول الله (صلآ الله وآله وآسلم): "إنما نسمة المسلم طآر آعلق فى شآر الآنة، آآى آرآعها الله إلى آسآه إلى آوم الآآامة".

والفرق بآن أرواح المؤمنآن وأرواح الشهآاء، أن الشهآاء فى آواصل طآر آآر آسرح مآآآلة فى رآاض الآنة، وآأوى إلى قنآآآل معلقة فى العرش، أما أرواح المؤمنآن، فإنها فى أجواف طآر آعلق فى آمر الآنة، ولا آآآقل فى أرجآائها.

أرواح العصاة:

سبق وأن ذكرت بعض النصوص التي تبين ما يلاقيه العصاة من العذاب، فمن ذلك أن الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق، يعذب بكلوب من حديد، يدخل في شذقه حتى يبلغ قفاه، والذي نام عن الصلاة المكتوبة يشدخ رأسه بصخرة، والزناة والزواني يعذبون في ثقب مثل التنور، ضيق أعلاه، وأسفله واسع، توقد النار تحته، والمرابي يسبح في بحر من الدم، وعلى الشط من يلقيه الحجارة.

وقد ذكرنا الأحاديث التي تتحدث عن عذاب الذي لم يكن يستنزه من بوله، والذي يمشي بالنميمة بين الناس، والذي غل من الغنيمة ونحو ذلك.

أرواح الكفار:

في حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعدما وصف حال المؤمن إلى أن يبلغ مستقره في الجنة، ذكر حال الكافر، وما يلاقيه عند النزاع، وبعد أن تقبض روحه، تخرج منه كأنتن ريح، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولن: ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار.

إن حياة البرزخ -بنعيمه وعذابه- هي حقيقة سيعيشها كل أحد، وهي تدخل في عموم الأدلة المستفيضة ذات الدلالة الواضحة التي لا تقبل تشكيكا أو تحريفا.

والمؤمن الحق، هو الذي يؤمن بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، ويدع أصحاب الأهواء الذين يخضعون الوحي -قرآنا وسنة- لأهوائهم وأقيستهم الفاسدة، وعقولهم القاصرة، مع التأكيد على أنه لا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح كما قرر العلماء الأجلاء (رحمهم الله تعالى)، ولكن الأقيسة إذا فسدت، والقلوب إذا مرضت، أتى أصحابها بالعجائب، والله المستعان.